البعد النّفسي في رواية رائحة الفحم لعبد العزيز الصقعبي

د. صالح بن سالم الحارثي*
abo.nzar.11@hotmail.com

د. زياد محمود مقدادي**
zmmeg@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2021/10/13م | تاريخ القبول: 2021/12/05م

الملخص:

تتبعت هذه الدّراسة رواية رائحة الفحم للكاتب السعودي عبدالعزيز الصقعبي، وسعت إلى مقاربتها مقاربة نفسية وفق ما قدمته بعض دراسات حقل علم النّفس ونظرياته، وتمّ تقسيم الدّراسة إلى مدخل ومبحثين، عُني المبحث الأوّل بتتبع الأبعاد النّفسيّة الإيجابية، والمبحث الثّاني وقف على الأبعاد النفسية السلبيّة لشخصيات الرواية. وتوصّلت الدراسة إلى أنّ رواية رائحة الفحم عمل إبداعي اعتمد فيه الراوي على الأبعاد النفسيّة لشخصيات الرواية، وأنّ هذه الأبعاد تنوعت بين عدد كبير من المشاعر والانفعالات، واشتملت الرواية على عدد كبير من المشاعر والانفعالات والسلوكيات النفسية، ما يؤكّد أنّ شخصياتها تتمثل بالتنوع والتعدد الواضحين، وهو تنوع يرتبط بأحداث الرواية ويُسهم في ترتيب الوقائع بما يضمن بناء الرواية بناء متكاملاً، ومثّلت شخصية سعيد محورًا أساسيًا اعتمد عليه الرّاوي فأكسبه أبعادًا نفسية متعددة، كالخوف، والحزن، والحبّ، والفضول، والاكتئاب والسوداوية...، واقتصر ظهور بعض الأبعاد النفسية في الرواية عند شخصية واحدة، كالانتقام الذي ظهر في شخصية عم سعيد، والاكتئاب والسوداوية اللذين ظهرا في شخصية سعيد.

الكلمات المفتاحيّة: الرائحة، عبدالعزيز الصقعبي، رائحة الفحم، الأبعاد النّفسية.

* أستاذ الأدب ونقده المساعد - قسم اللّغة العربيّة - كلية العلوم والآداب - جامعة نجران - المملكة العربية السعودية.

** أستاذ الأدب ونقده المساعد - قسم اللّغة العربيّة، كلية العلوم والآداب بمحايل - جامعة الملك خالد - المملكة العربية السعودية.

العدد الثالث عشر 13
مـــارس 2022

مجلة علمية فصلية محكمة
تعنى بالدراسات اللغوية والأدبية
(EISSN): 2708-5783 ISSN: 2707-5508
الآداب للدراسات اللغوية والأدبية

The Psychological Dimension in the Novel of *The Smell of Coal* by Abdulaziz Al-Saqabi

Dr. Saleh Bin Salem Al-Harthy[*]
abo.nzar.11@hotmail.com

Dr. Ziyad Mahmoud Miqdadi[**]
zmmeg@yahoo.com

Received date: 13/10/2021 | **Acceptance date: 05/12/2021**

Abstract:

This study traced the novel *The Smell of Coal* by the Saudi writer Abdulaziz Al-Saqabi, and sought to deal with it applying the psychological approach, according to what was presented by some studies in the field of psychology and its theories. The study was divided into an introduction and two sections, the first section was concerned with the positive psychological dimensions, whereas the second section was concerned with the negative psychological dimensions of the characters of the novel. The study concluded that *The Smell of Coal* is a creative work. The narrator relied on the psychological dimensions of the characters of the novel. These dimensions have varied between many feelings and emotions. The novel included many feelings, emotions, and psychological behaviors, which confirms that its characters are represented by the clear diversity and plurality; a diversity associated with the events of the novel that contributes to the arrangement of facts in a way that ensures the construction of the novel in an integrated building. The multiple psychological dimensions, included fear, sadness, love, curiosity, depression, and melancholy. The appearance of some psychological dimensions in the novel was limited to one character, such as revenge, depression and melancholy which appeared in the character of Saeed's uncle.

Keywords: Smell, Abdulaziz Al-Saqbi, *The Smell of Coal*, Psychological dimensions.

[*]Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Sciences and Arts, Najran University, Saudi Arabia.

[**]Assistant Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, Faculty of Sciences and Arts in Mahayel, King Khalid University, Saudi Arabia.

المقدّمة:

يتمحور الفنّ الروائي - كغيره من الأجناس الأدبية - على عدد من المرتكزات التي تكسبه خصائص إبداعية، تشدّ المتلقي وتجعله مهتمًا بهذا الإبداع، ليصل إلى درجة عالية من التفاعل مع هذا العمل ومعرفة ما يرمي إليه المبدع، ومن هذه المرتكزات الجوانب النّفسية التي تبرز في العمل الإبداعي.

ويمثّل البعد النّفسي في العمل الروائي منطلقًا مهما يُمكن الاعتماد عليه في قراءة الرواية؛ لكشف الملامح الداخلية للشخصيات الروائية، وما ينتابها من شعور داخلي، ومن ثم تحديد أثرها في بناء أحداث العمل الروائي وتطورها.

ويظهر البعد النّفسي للشخصيات بشكل جلي في رواية رائحة الفحم لعبد العزيز الصقعبي، ما يستدعي مقاربتها بالدرس والتحليل، وتأتي أهمية هذه الدراسة من خلال تركيز الرّاوي على الأبعاد النفسية لشخصيات الرواية من ناحية، ومن ناحية ثانية فإنّه يعزّز الدراسات النقدية لبعض الروايات السعودية الحديثة التي لم تُعنَ بها الدراسات السابقة من خلال دراسة زاوية مهمة وهي زاوية توظيف الأبعاد النفسية لشخصيات العمل الروائي.

وتهدف هذه الدراسة إلى عدة أمور، منها:

- الوقوف على أحد أعمال الروائي السعودي عبد العزيز الصقعبي.
- مقاربة العمل الروائي مقاربة نفسية.
- إيجاد مدخل مناسب لقراءة نفسيات بعض شخصيات رواية رائحة الفحم وتحديد أبعادها النفسية.

واشتمل البحث على مقدمة ومدخل ومبحثين، حدّدت المقدمة مشكلة الدراسة، وأهميتها، وأهدافها، والمنهج المتبع للدراسة، وتناول المدخل عرضًا موجزًا لسيرة كاتب الرواية، وتلخيصًا لأحداث

الرواية، وإيجازًا لعلاقة الأدب بعلم النّفس، ووقف المبحث الأوّل على الأبعاد النفسيّة الإيجابية لشخصيات رواية رائحة الفحم، وأُفرد المبحث الثاني للأبعاد النفسية السلبية لشخصياتها.

وستتبع الدراسة المنهج النفسي لتحليل شخصيات الرواية ومقاربة أبعادها النفسية وفق ما قدمته دراسات علم النفس.

المدخل:

- عبد العزيز الصقعبي: لمحة موجزة عن حياته وسيرته

هو عبدالعزيز بن صالح بن عبدالعزيز الصقعبي[1]، ولد في الطائف عام 1377هـ، تخرج في قسم اللغة العربية بجامعة الملك سعود، قاصٌّ وروائيٌّ سعودي، عمل في النادي الأدبي بالطائف، وكان عضوًا في جمعية الثقافة والفنون في الطائف، أصدر عددًا من الروايات، منها: رواية حالة كذب، ورواية اليوم الأخير لبائع الحمام، وله عدد من المجموعات القصصية، منها: مجموعة لا ليلك ليلى ولا أنت أنا، ومجموعة الحكواتي يفقد صوته، وأحاديث مسائية، وغيرها.

- توصيف الرو اية

رواية رائحة الفحم هي التجربة الروائية الأولى لعبد العزيز الصقعبي، وقد صدرت طبعتها الأولى عام 1988م، أما الطبعة الثانية فصدرت عام 2012م في مدينة الدمام السعودية، وتقع في نحو مائة صفحة. تكشف الرواية جوانب مهمة من حياة شخصياتها التي تومئ بواقعيتها من خلال الأحداث التي تظهرها، ومن خلال الانعكاس المباشر لرؤية كاتبها، وتتمحور هذه الرواية حول شخصية البطل سعيد الذي ترتبط به الشخصيات الأخرى، وأهمها شخصية خالته سكون، ويرسم الرّاوي ملامح شخصية سعيد الذي يعاني مأساة حقيقية بدءًا من ولادته حتى نهاية أحداث الرواية، إذ صوَّره الرّاوي شخصًا يبحث عن ذاته في مدينة سرابية، وسعى لتحقيق ذاته من خلال أهداف رسمها لنفسها، أهمها إثبات أنّه شخص فاعل في المجتمع، وإظهار رغبته في الارتباط ببعض الفتيات

اللائي ظهرن في أحداث الرواية، حرصه الشديد لإثبات طهارة خالته سكون، إلى جانب تميّزه عن الشخصيات الأخرى بثقافته المتنوعة التي ظهرت بقراءاته المستمرة للأعمال الأدبية المختلفة التي أشار إليها الرّاوي في الرواية.

وعلى الرّغم ممّا سبق فإنّ الرّاوي جعل المآسي والأحزان مصيرًا حتميًا يواجهه سعيد، بدءًا من وفاة أمه، وعدم تقبل أبيه له، وإرساله إلى خالته (سكون)، ثم طرده من المدرسة، ثم زواج ابنة عمه (هدى) التي أحبها، ووفاة خالته (سكون) بعد أن احترقت في منزلها، إلى أن أخبره عمّه الذي رفضته سكون زوجًا بأنّها كانت حاملاً، على الرغم من أنّها كانت دون زوج عندما ماتت محترقة.

ويستمر الرّاوي في كشف العقبات التي تلاحق سعيدًا، فقد أحبّ الممرضة (ليلى)، ثم اكتشف أنّها متزوجة، ليتعرّف بعد ذلك على فتاة مغنية وراقصة اسمها عفيفة فيتزوجها، ويعود بها إلى الحي الذي ولد فيه، فتقوم بالغناء والرقص في الحي متقمصةً شخصيّة خالته (سكون) في زيّها وغنائها، فكانت مثار دهشة الجميع، حتى ظنوا أنها سكون المتوفاة، وما لبثت عفيفة أنّ أظهرت للنّاس الحقيقة فبيّنت أنها ليست (سكون)، وإنما زوجة سعيد ابن أخت سكون، فتعود الأحداث بالتوتر ويتحول الجميع إلى سعيد بالضرب والصراخ، ويصفونه بأنّه قد جلب العار لهم.

- الأدبُ وعلم النّفس

إنّ الوقوف على علاقة الأدب بعلم النّفس مجال توسّع فيه الدارسون والنقاد من قبل، والذي يهم في سياق هذه الدّراسة الإشارة إلى أنّ بعض الدارسين يقاربون الفنّ الأدبي مقاربة نفسية، بالاعتماد على نظريات علم النفس وتطبيقاتها، وهو منهج يتعامل مع الأدب لفهمه فهمًا دقيقًا، "فقراءة الجوانب النفسية وتطبيقها على تلك الأعمال يمثّل نافذة واضحة الرؤية للمتلقي"[(2)].

وهذا يفرض تطبيق طرائق علم النّفس على النصوص الإبداعية المدروسة، وقد حدّد ذلك سيجموند فرويد، فقال: "إنّ ما يتميّزُ به التّحليلُ النّفسيّ، من حيثُ هو علمٌ من العلومِ هو طُرقُهُ في

البَحثِ، لا المادّة التي يتناولها، وهي طرقٌ يمكنُ تطبيقُها - دونَ أنْ نجورَ على طبيعتِها الجوهريّة - في دراسةِ تاريخِ الحضارةِ وعلمِ الأديانِ وعلمِ الأساطير، كما تطبّقُ في دراسةِ الأمراضِ النّفسيّةِ"[3].

ويظهر في رواية رائحة الفحم أنّ حركة شخصياتها وأفكارها جاءت استجابة لمشاعرها وتوتراتها وأفكارها الباطنية، وهذه نقطة مهمة تساعد على اكتناه أسرار هذه الرواية، إذ إنّ كثيرًا من الأحداث التي وقف عليها الرّاوي كشفت تأثير اللاشعور على الشخصيات التي وظّفها في عمله.

ومن المهم القول: إنّ بعض المبدعين قادرون على نقل حالة اللاشعور في تجربتهم الإبداعية، وذلك بعد تعايشهم مع الواقع وتأثرهم بأفكاره وعاداته وتقاليده، فيأتي تعبير الأدب مباشرًا عن رغبات الأديب وأفكاره، التي هي صورة لرغبات المجتمع وأفكاره في كثير من الأحيان، "والأدب رمزٌ للرغبات المكبوتة في اللاشعور، ولا منطقية هذا اللاشعور تنشئ علاقاتٍ جديدةً بين الرّموز، وهذه العلاقات الجديدةُ يجب أن يلتفتَ إليها عند محاولة تفسير الأدب، فالرّمز ذاته صورةٌ مجسمةٌ للمعنى الكامن في النّفس والعلاقات الجديدة بين هذه الرّموز ليست مقصودةً لذاتها، وإنما هي صورةُ التّلوين النّفسي"[4].

واهتم كثير من علماء النّفس بالعمل الروائي، مركزين في تحليلاتهم النفسية على الشخصيات الروائية التي يوظفها الروائيون؛ "لأنّها تجسّد قوى اللاشعور الكامنة في الإنسان"[5]، "وهي ركيزة مهمّة من ركائز العمل الروائي"[6]، ونستطيع الإفادة عند تلقي العمل الروائي بعد فهم شخصياته، وهذا يستدعي الوقوف على أهم الجوانب النّفسية التي رسمها عبد العزيز الصقعبي لشخصياته في رواية رائحة الفحم، وذلك بدراسة انفعالاتها وطبيعة تفكيرها وتحديد أهم المشاعر التي تنتابها سواء أكانت ضمن منطقة الشعور أم منطقة اللاشعور لهذه الشخصيات.

- الأبعاد النفسية لشخصيات رواية رائحة الفحم

ترتبط قراءة العمل الروائي بجوانب متعدّدة، لعل من أهمها تحليل الشخصيات، والوقوف على صفاتها التي وصفها بها الراوي، "والشخصية ذات كثافة سيكولوجية، تستقطب جميع مظاهر

الصراع حولها، سواء أكان صراعًا داخليًا أم خارجيًا، وتتكشف أيديولوجية النص بالوقوف على مقومات هذه الشخصية وسبر أغوارها، وصولا إلى سماتها وأفكارها وانفعالاتها"[7].

وتشتمل رواية رائحة الفحم لعبد العزيز الصقعبي على أبعاد نفسية متعددة، وهي أبعاد مثّلت مشاعر وانفعالات مختلفة، انعكست على شخصيات الرواية، ويمكن تقسيم هذه الأبعاد إلى قسمين رئيسيين: أبعاد إيجابية، وأبعاد سلبية، وهذان القسمان أساس هذه الدراسة:

المبحث الأوّل: الأبعاد النّفسية الإيجابيّة

يندرج تحت هذا المبحث عدد من الأبعاد النّفسية لشخصيات رواية (رائحة الفحم)، وهي أبعاد يمكن وصفها بأنّها ذات أثر (إيجابي) على نفسية الشخصيات، ومن أهمها:

أوّلاً: الفُضول

وردت كلمة الفضولي ودلّت على: "المشتغل بما لا يعنيه"[8]، وأشار أمبرتو مانغويل إلى أنّ كلمة الفضول: "تحمل معنى إيجابيًا؛ لأنّ الشخص الفضولي يعامل الأشياء بأدب، ومعنى سلبيًا؛ لأنّه يكابد في تمحيص أشياء مخبوءة ومكتومة في معظمها"[9].

والذي يجده المتلقّي أنّ الفضول في رواية رائحة الفحم صفة ظهرت عند عدد من الشخصيات، وأغلبها شخصيات ثانوية لا وظيفة لها في أحداث الراوية سوى البحث عن دقائق الأمور، ومعرفة ما الذي يجري هنا وهناك، وهذا يؤكّد نجاح الراوي في شد انتباه المتلقي من خلال إعطاء هذه الشخصيات وظيفتها الفاعلة في النّص.

وسلّط الصقعبي الضوء في الرواية على هذا السلوك، وبرز بداية الأمر عندما سعى عدد من الأشخاص لمعرفة ماذا حصل لسعيد عندما شُجَّ وجهه، **"لا أدري لماذا تجمعوا داخل سيارة الإسعاف معي... لم أكن مقتنعًا تمامًا بهذا الكم الهائل الذي حشر نفسه داخل سيارة الإسعاف، لدي قناعة بأنّ دافع الفضول مسيطر على أغلبهم..."**[10]. يبدو أن الرغبة المفرطة في معرفة الأمور

عند هذه الشخصيات هي محفّزهم لركوب السيارة، فما حصل لسعيد دفعهم لمتابعة الموقف، وقد شدّ انتباهه هذا الأمر حتى بات مستغربًا، فالجرح (الشجّ) الذي أصيب به أثار فضولهم، ولم يقتصر فضول شخصيات الرواية على الشج الذي في وجه سعيد لحظة إصابته به، وإنما أصبح مدعاة للفضول عندهم فيما بعد، **"كان هذا الشجّ هو الذكرى الأولى الشاحبة التي عرفت من خلالها كيف أكون مثارًا للفضول"**[11].

وحاول الراوي أن يبيّن الأثر النفسي الذي يخلفه الفضول على الشخصيات التي تعاني من أصحاب هذا السلوك ومراقبتهم لهم، **"شوق أوصتني بإغلاق الباب في أثناء التطيب بالبخور، حتى لا تنبعث رائحته خارج المنزل ويكون ذلك مدعاة للفضول.."**[12].

لا شكّ أنّ هذا الفضول فضول اجتماعي، كونه سلوكًا عند فئة غير محددة من المجتمع الذي يرسمه الصقعبي في روايته، وهذا الفضول -أي الاجتماعي- "أمر تستهجنه كلّ المجتمعات عبر ثقافاتها المختلفة، لكونه يعني تدخل الشخص في شؤون الآخرين الخاصة"[13]، ولذلك فإنّ سكون استهجنته كما استهجنه سعيد من قبل.

وحرص الراوي على الإشارة إلى الفضول مباشرة، ولعل ذلك يرتبط برفضه لهذا السلوك الذي يصنف في كثير من المرات على أنّه سلوك غير مرغوب فيه.

وعانى سعيد من هذا السلوك منذ أنّ كان صغيرًا وأثّر في حياته بشكل واضح، إذ قاده الفضول إلى متابعة ما يقوم به الطلبة في مشاكاساتهم لحارس المدرسة، **"صدقوني مجرد فضولي متطفل.. أنا رأيتهم... فقط كنت أتابع حركاتهم... يا لهذا الفضول..."**[14]. انعكس هذا الفضول سلبًا على سعيد في هذا الموقف، فأدى إلى فصله من المدرسة وحرمانه من التعليم.

والذي يميّز فضول سعيد أنّه كان إيجابيًا في مواقف أخرى، **"ذات يوم شعرت برغبة للذهاب إلى المقهى القابع في وسط الحي... حملت معي قلمًا وبعضًا من الأوراق وبدأت أرصد جنسيات من أراهم وما ألحظه من تصرفات... قد لا يكون لدي الاقتناع التام بها"**[15].

كانت رغبة الاستكشاف هي الدافع الذي جعل سعيدًا يتابع تحركات الأشخاص الآخرين، وهي رغبة لم تتوقف عند حد المعرفة والاطلاع فقط، بل نراه حريصًا على أن يرصد تحركات الآخرين وتصرفاتهم ويقوم بتدوينها لمعرفة ثقافاته هؤلاء؛ لأنّهم يمثلون تنوعًا عرقيًا فهم من جنسيات مختلفة في المجتمع الذي تنتمي إليه شخصية سعيد، وهذا النوع من التتبع الفضولي سلوك مرغوب فيه؛ كونه يسعى إلى التزود بالمعرفة والثقافة.

وهكذا، يتبيّن أنّ صفة الفضول صفة شبه لازمة عند كثير من شخصيات رواية رائحة الفحم، لا سيما الشخصيات الثانوية التي اقتصرت وظيفة كثير منها على ممارسة سلوك الفضول في هذه الرواية، وهذا بدوره يساعد على تأزيم أحداث الرواية وتنامها.

ثانيًا: الاعتزاز بالذات

يرتبط الاعتزاز بالذات بمفهوم الثقة بالنفس: "وهي تدلّ على نوع من الاطمئنان المدروس إلى إمكانية تحقيق النجاح والحصول على ما يريده الإنسان من أهداف"[16].

وظهر الاعتزاز بالذات مظهرًا من مظاهر الشخصية عند سعيد، فعندما قرّر مدير المدرسة فصله من المدرسة ظنًا أنّه الذي افتعل المشكلة ورمى الحجارة على حارس المدرسة، عندئذٍ بدأ سعيد يتوسّل، مخاطبًا المدير: **"تفوّقي ألا يكون شفيعًا؟"**[17]. وسبب تذكير سعيد بتفوّقه يهدف إلى عدم إيقاع العقوبة، لكنّه في الوقت نفسه مبني على الاعتزاز بالذات، فالتفوّق الدراسي يدعو الطالب إلى الاعتزاز بنفسه.

ورسم الراوي سعيدًا شخصية تنظر إلى التجديد والإبداع، فعند حديث صديقه إليه عن كتابة ما مرّ به في حياته بعمل مسرحي، اقترح عليه صديقه بعض التسميات لتكون عنوانًا لعمله، لكنّه رفضها بحجة أنّها مستخدمة لأعمال أدبية لكتاب آخرين، وقال: **"ما أريده هو الجِدَّة في كلّ شيء حتى العنوان"**[18]. ويمكن وصف موقف سعيد من الإبداع بأنّه شكل من أشكال الإدراك، كونه

عايش تجارب نفسية متعددة، واطلع على أعمال إبداعية مختلفة -كما صوّرته الرواية- وأنه راغب في الكتابة عن تلك التجارب، وهذا مرتبط بالإدراك، "وحدّد النفسانيون بعدين للأدراك، أحدهما حسيٌّ يرتبط بالإحساس، والآخر معرفي يرتبط بالتفكير"[19]. وهذا ما نجده في شخصية سعيد.

ووصف سعيد نفسَه بأنّه فنان، وأنّ هذه الموهبة بتأثير من موهبة أمه وخالته سكون، **"أحنّ إلى الكلمات... عرفني الجميع بالفنان... صوتي هو امتداد لشوق أو لسكون... هاجس يلح علي بذلك... أشعر بحاجة إلى أن أصطاد النغمة من بين طيّات الصمت"**[20].

ويجب الانتباه إلى أنّ سعيدًا في هذا السياق يتحكم بذاته ليحقّق لها ما يريد، والذي يساعده على هذا الأمر شعوره بتفوّقه وحسّه الفنّي، "والإنسان بطبعه يولد ولديه ميول لتحقيقِ ذاتِهِ، وهذا الميولُ هو الذي يوجه سلوكَه"[21].

وكان سعيد يصف نفسه بأنّه من الشخصيات المهمة في الحي، وقد حدّث عفيفة ذات مرة عن إنجازات نفسه، **"أنا كنت من رجالات هذا الحي المشهورين ذهبت أبحث عن الرزق وهأنذا أعود ثريًا"**[22].

ويبدو أنّ الراوي لم يوفق في هذا الموقف عندما وصف شخصية سعيد بالثراء والغنى، كونه خرج من الحي ضعيفًا بسبب الظروف التي مرّت عليه، ولأنّه لم يظهر ثريًا في فترة اغترابه، وإنما كان يعمل عاملاً في منجرة، حسبما أظهرته أحداث الرواية، وهذا يتناقض مع الثراء الذي يمدح سعيد نفسه بسببه.

وظهرت شخصية سكون معتزّة بذاتها، **"الليلة يريدني الجميع أن أكون قمرًا يشع .. يجب أن أكون أجمل... لا بأس من وضع شيء من البخور على الفحم.."**[23]، وعلى الرغم من أنّ (سكون) تشعر بإعجاب رجال الحي بجمالها فإنّها كانت تسعى لأن تبدو أكثر جمالاً، وهذا يرتبط بثقتها بنفسها واعتزازها بذاتها.

ويبدو أنّ طبيعة أحداث الرواية التي يغلب عليها الحزن أثّرت في عدم إضفاء هذه الصفة النفسية على كثير من شخصيات الرواية.

ثالثًا: الرغبة

الرغبة في اللغة مأخوذة من قولهم: "رَغِب يَرغُب رغبَةً: إذا حرص على الشيء، وطمع فيه"[24]، وفي علم النّفس: "نزعة تلقائية واعية تهدف إلى غاية معلومة أو متخيلة، وهي شوق وتشوق للشيء لأنه مرغوب للنفس"[25]. وتجدر الإشارة إلى أنّ هذا البُعد تم إدراجه ضمن الأبعاد النّفسية الإيجابية للشخصيات؛ كونه يتعلق بإشباع حاجات نفسيّة.

وتعدّ الرغبة في المرأة من أهمّ مظاهر الرغبة التي ظهرت في الرواية، كونها مثّلت مظهرًا بارزًا عند بعض الشخصيات، لكنّ الراوي ركّز بشكل خاص على رغبة (عم سعيد) في المرأة سكون (خالة سعيد)، وظهرت هذه الرغبة صراحة في غير موضع من الرواية.

"- وماذا تريد من سكون؟

- **كنت أرغب فيها... مجرد نزوة..**
- **لتستمع إليها وهي تغني .. بإمكانك أن تقف خلف الستار بعيدًا عن أعين زوجاتك وتستمع إليها..**
- **ستغني هذه الليلة.**
- **وترقص"**[26].

يصرّح عمّ سعيد في هذا السياق برغبته في سكون، وهي رغبة مرتبطة بجسدها، فإشارته إلى صوتها ورقصها يؤكّد ذلك، وتكرر ذكر هذه الرغبة في سياق آخر.

"- من منا يقدر على خطفها هذه الليلة؟

- أستشف التحدي من أسلوبك.

- أنا لا أتحدى ولكن كونها أرملة وحيدة يدفعني إلى أن أفكر في ذلك."[27].

ويبدو من سياق الأحداث أنّ شخصية عمّ سعيد تسعى جاهدة لأن تتزوج (سكون).

"أنا لم أتزوج بعد... سأغادر هذا الحي.. كل ما أطلبه منك مر افقتي.

- إلى أين؟

- اختاري أي مكان ترغبين وسألبي طلبك ... كل ما أريده أن تو افقي على الزواج مني.

- وماذا تريد من أرملة؟"[28].

ومع شدة حرص عمّ سعيد على الزواج من سكون فإنها تصر على الرفض؛ لأنّها ترى أنّ رغبته إليها ليست بدافع الحبّ وإنما قائمة على الرغبة في جسدها، وهذا ما أشارت إليه بقولها: **"مأساتي أنني حلم كل رجال الحي حتى بعد زواجي"**[29].

إنّ إدراك سكون لهذه الحقيقة يرجع إلى طبيعة عملها في الحي، فهي مغنية وتؤدي الرقص في حفلات أعراس الحي، ولأنّها تؤدي ذلك أمام الرجال في بعض الحفلات فمن الطبيعي أن تلفت أنظارهم إليها، كونهم غير معتادين على مثل هذا العمل -أي وجود مغنية من بنات الحي-.

ولم تقتصر الرغبة على عمّ سعيد ورجال الحي فحسب، إذ نجد أنّ الراوي نقل هذا الشعور إلى شخصية سعيد بعد أنْ رأى المغنية عفيفة.

"- أأعجبك صوتها؟

- كثيرًا.

- تدعى عفيفة... لمحتها من بعيد أذهلني جمالها... لولا خوفي من العيب لتزوجتها"[30].

ويمكن القول: إنّ رغبة الرجل في المرأة في هذه السياقات رغبة مبنية على حاجة الرجل لجسد المرأة وحسب، وقد كان الراوي حريصًا على الإشارة إلى ذلك من المواقف التي وصف فيها شخصية

(سكون) عندما كانت تغني في حفلات الحي، وعزّز تأكيد هذا البعد النفسي عندما انتقل إلى وصف رغبة سعيد في (عفيفة) الراقصة، وهي رغبة ظهرت على الرغم من حالته الحزينة نتيجة الظروف التي ألمت به في مراحل حياته المختلفة.

رابعًا: الحبّ

تقترن لفظة الحبّ بالمودّة، ففي اللّغة: "حبّ فلانًا: ودّه"[31]، وفي الاصطلاح: "يحمل مفهوم الحبّ أبعادًا فلسفية ونفسية وبيولوجية واجتماعية ودينية وحضارية. وهو متعدد الأنواع والأصناف: حب الذات، وحب الوالدين، والحب الرومانسي، وحب الوطن، وحب البشرية، وحب الله، وغيرها"[32].

وتشتمل رواية رائحة الفحم على عدد من المشاعر التي تنتاب شخصياتها، ومنها مشاعر الحبّ، ويجد المتلقّي أنّ الصقعبي سلّط الضوء على حب الرجل للمرأة، أكثر من غيره من أنواع الحبّ، وقد برز هذا النوع من الحب بشكل أساسيّ في شخصية سعيد، وقلّ ظهوره عند الشخصيات الأخرى.

ويبدو من خلال هذه الرواية أنّ سعيدًا وضع صورة متخيلة للفتاة التي يريد أن يحبّها، **"سيدتي تعشق الربيع، القوافل المهاجرة، في أفلام رعاة البقر.. طائر اللقلق عندما يخفي إحدى قدميه ويقف على قدم واحدة... الزهور البيضاء... الحديث الهامس في المساء. سيدتي يا لهذا العبق المترع بوهج نجم فسفوري مضمّخًا برائحة ورد... ها هو ذوبان الثلج نديًا من عينين تشعّان بريقًا.. تحتل سيدتي الجزء الأكبر من ذاكرتي... أتخيلها .. أراها..."**[33].

ويمكن أن يفسّر موقف سعيد من الحب بأنّه شكل من أشكال التعويض النفسي، والتعويض "هو الميكانيكيّةُ التي يخفي بها الإنسانُ ضعفًا أو نقصًا"[34]. فلو تتبعنا شخصية سعيد لوجدنا أنّه يعاني؛ بسبب الأحداث التي مرّت عليه في حياته، وهي أحداث تمثل مأساة حقيقية -كما تمت الإشارة سابقًا-، وهنا وجد سعيد نفسه محتاجًا لمن يقف إلى جانبه ويعوّضه عن النقص الذي يعاني منه،

فكان حبّ المرأة سبيله الوحيد، وقد رسم الراوي صورة متخيَّلة، تساعد سعيد على إثبات نفسه وتعويض النقص الذي يشعر به.

وقد حدّد بعض الدارسين أثر الحبّ في إيجاد الذات، "فهو يزود الفرد بطاقة عالية في وجوده المستقل، ويربطه بتيار من العلاقات الانفعالية مع شخص آخر، ويحقق صيغة الوجود التي يريدها لنفسه"[35].

وجعل الراوي سعيدًا تائهًا في ربط الشخصيات بعضها ببعض، متسائلاً عن علاقات الحبّ، محاولاً تفسير علاقات الحب التي رآها شائكة، **"هذا وجه امرأة... قد يكون وجه سكون.. هذه رسمة لقلب.. تعبير خاص عن حبّ خاص.. من يحبّ من؟.. من يحب من؟.. في هذا الحي هل يعي أحد الحب؟.. هل يحبّ عمي زوجاته الثلاث؟... مَن مِن رجال الحي أحبّ سكون؟.. من يجرؤ على حبّها..؟؟ ابنة عمي هدى.. هذا الطعم اللذيذ... أتحبني... وما الفرق بين أن تحبني كأخيها أو كزوجها... هل ثمة فرق..؟ الحب واحد. وليلى ذلك الطيف الرائع... هل شعرت بحبي لها... من مِن نساء الحي أحبت سعيدًا؟ ذلك الرجل المجنون الملتحي الباحث عن الحقيقة... مِن أحبّ مَن... مَن... مَن... مَن..."**[36].

إنّ هذه التساؤلات حول الحبّ وأطرافه تعكس ضياعًا نفسيًا يشعر به سعيد، وعندما حاول التعويض والتخلّص من هذا الشعور وجد نفسه غير واعية لشبكة علاقات الحبّ التي تمر في خاطره -والمقصود حبّ الرجل للمرأة- سواء حبّ الآخرين بعضهم بعضًا أم حبّه هو بعض شخصيات الرواية، مع ضرورة التنبيه إلى عدم إغفال أنواع الحبّ الأخرى التي ظهرت في الرواية كحب الأخ أو حب الخالة، وغيرها.

وفرض تطور الأحداث على سعيد في الرواية تجارب حبّ عاشها في مراحل مختلفة من حياته، وأولى هذه التجارب شعوره بانجذاب نحو ابنة عمه هدى، **"كنت أحلم بابنة عمي... كانت أكبر مني بسنوات.. دائمًا تضحك... دائمًا تهتمّ بي..."**[37].

لا شكّ أنّ باعث الحبّ في نفس سعيد في هذا السياق هو اهتمامُ هدى به، إذ جعله هذا الأمر يحلم بها زوجةً، متجاوزًا فارق السن بينهما، ويرجع ذلك إلى حاجة الإنسان لمكمل يُشعره بإنسانيته، "والرابطة المباشرة والطبيعية الضرورية للإنسان هي علاقة الرجل بالمرأة... وفي ضوء هذه العلاقة يمكن للمرء أن يصدر حكمًا عن درجة التطور الكلي للإنسان... والعلاقة بين الرجل والمرأة هي الرابطة الأكثر طبيعية بين مخلوق بشري وآخر، لذلك فإنّها تُظهر إلى أي مدى يصبح فيه الجوهر الإنساني في الإنسان جوهرًا طبيعيًا"[38].

وتتوافق رغبة سعيد باستمرارية رؤية ابنة عمه هدى مع هذا التفسير، إذ كان يلح على بقائها معهم، إلى جانب إعجابه باهتمامها به "**- ابنة عمي تريديني أن أصبح من الآن رجلاً أنيقًا.**

- هدى تهتم بالجميع.

- لماذا لا تسكن معنا؟

- ألا يكفي زياراتها المتكررة لنا؟

- أفضّل بقاءها"[39].

ومقابل هذا النوع من الحبّ عند سعيد نجد حبّه القائم على الإعجاب، فقد أحبّ الممرضة ليلى بمجرد أن رآها في المستشفى عندما ذهب للعلاج، وانعكس هذا الحبّ على شخصيته بصورة جعلته مولعًا بها، ودائم التفكير بها، حتى أصبح يحاكي طيفها، **"لا أدري كيف أصف مقدار حنيني إليك، فمنذ أن عرفتك شعرت برغبة لأن أصل إليك... حاولت أن أراك... توهمتك طيفًا... كنت ذاك الصمت الذي أقضّ مضجعي... أتعودين... وتعدينني بأن تكملي تلك الكلمات التي خفتُ أن تمزق وجهك حرارتها... لا تخافي، فهذا الصمت بوح لكل المشاعر..."** [40].

ولكن يبقى التساؤل: لماذا جعل الراوي شخصية سعيد تغرق في حبّ ليلى بهذه الصورة؟

قد يرتبط ذلك بحاجة سعيد إلى مكمل يساعده على إيجاد ذاته وتعويض ما يشعر به من نقص في حياته، ومن الممكن أنّ تكون صورة ليلى أداته في تحقيق ذلك، مع يقينه التام بأنّها باتت حلمًا بعيدًا.

"- تشبهان ليلى؟

- لا أدري تمامًا ماذا تريد... ليلى حلم...

- أريد زوجة تحمل ملامح ليلى"[41].

يبدو أنّ حب سعيد لليلي قائم على انفعال شعوري تجاهها، وقد فسّر بعض علماء النفس الحبّ بـ"أنّه تركيب انفعالي ذو قوة دائمة مصحوب بحماس وشدة، وفيه تركيز وانتباه نحو شيء معين"[42]. وتركيز سعيد على شخصية ليلى يتوافق مع هذا التفسير، حتى أنّه بعد زواجه من عفيفة عاد إلى ذكراها، **"فُتح الباب... كنت قد أغمضت عيني... فتحتهما بهدوء.. رأيت رجل الأمن عاد إلى مكانه بالقرب من الباب وممرضة تقترب مني تحمل بيدها حقنة صغيرة... رأتني أنظر إليها... ابتسمت... يا لهذا البياض... لقد واجهتني تلك الابتسامة من قبل... أجل إنّها هي... صرخت بأعلى صوتي (ليلى)"**[43].

ويمكن القول، بعد هذا الحدث الذي خُتمت به الرواية: إنّ مشاعر سعيد تجاه ليلى فاقت مشاعره تجاه النساء الأخريات، فثمة ارتباط نفسي بها يفسر حاجته لامرأة تكون في حياته لتعوّض نقصًا عانى منه منذ طفولته بعد أن فقد أمه.

لقد مثّلت مشاعر الحبّ عند سعيد ظاهرة نحو عدد من الفتيات، هدى، وعفيفة، وليلى، ولكنّ هذا الحبّ ليس حبًّا متكاملاً؛ لأنّه حبّ متقطع، فنجد أنّه أحب ليلى، ثم التقى بعفيفة وأحبها وتزوجها، بعد ذلك التقى بليلى مرة ثانية، وتاقت نفسه لها.

المبحث الثّاني: الأبعاد النّفسية السّلبيّة

أمّا هذا النّوع من الأبعاد النّفسية لشخصيات رواية (رائحة الفحم)، فإنّها ذات أثر (سلبي) على نفسية الشخصيات، ومن أهمها:

أولاً: الخوف

ورد الخوف عند ابن منظور بمعنى: "الفزع"[44]، وفي اصطلاح علماء النّفس تعددت النواحي التي ركز عليها السيكولوجيون في تعريف الخوف وإن كانت تتفق في معناه العام، فعرّفه بعضهم بأنّه: "حالة انفعالية داخلية طبيعية يشعر بها الإنسان في بعض المواقف، ويسلك فيها سلوكًا يبعده عادة عن مصادر الضرر"[45]، وبتتبع رواية رائحة الفحم يجد المتلقّي أنّ هذا الشعور – أقصد الخوف – ظهر من مطلع الرواية واستمر حتى نهايتها،"**... لم يجد لي والدي مكانًا بين هذا الجمع فوضعني في حضنه، ولفّ نصف رأسي بغترته البيضاء التي تسربلت بذلك الدّم مما أثار الرعب في صدر والدي خوفًا من أن تكون العين تفصّدت كقطع الدّم التي تنزّ من بين خيوط (الغترة) التي كانت بيضاء**"[46].

إنّنا أمام خوف الأب على ابنه، خوفه على صحته ومستقبله، ونجد أنّ حدّة الخوف ازدادت مع مشهد الدّم الذي ينزف من الابن، "ومنظر الدّم في حدّ ذاته قوة تأثيريّة معينة بغض النظر عن ملابسات الموقف، بحيث يرتعد الشخص وتنهار قواه لمجرد رؤيته للدم"[47]. وعلى الرّغم من تركيز الرّواية على إظهار والد سعيد بعيدًا عن أبنائه فإنّ هذا الموقف يُظهر خوفه على ولده سعيد حينما كان طفلاً صغيرًا، إذ تكررت الإشارة إلى هذا الخوف في موضع آخر من الرواية.

"بقي السؤال بدون إجابة.. سألت أختي ذات يوم:

- **هل كنت شؤمًا على أبي؟!**
- **لماذا؟**

- **لأنّني أتيت ورحلت أمّي.**
- **ولكنّ أبي تزوّج.**
- **قد يكرهني!**
- **لماذا؟**
- **للسبب ذاته.**
- **ألم ترَ خوفه عليك عندما كادت الزجاجة أن تفقدك عينك؟"**[48].

يتّضح من الحوار السّابق أنّ الراوي ركّز على مسألتين، أولاهما الإشارة إلى عاطفة الأبوة التي حرّكت مشاعر الخوف تجاه ابنه، وثانيتهما لامبالاته بأبنائه كونهم يعيدونه إلى ذكرى تبعث الألم في نفسه، وهي ارتباطه بأمّهم التي فارقت الحياة، وهذا الارتباط لم يكن مَرْضيًا عنه عند الآخرين ويعد عيبًا في نظر المجتمع كما أظهرته أحداث الرواية فيما بعد.

ولم يظهر في الرواية موقف آخر يعكس خوف الأب على ابنه سوى هذين الموقفين. ومن أشكال الخوف التي ظهرت في الرواية الخوف من العقوبة، وقد تجلى ذلك عندما فُصل سعيد من مدرسته.

"فوجئتُ عندما أمسك الحارس بي بعنف.

- هذا هو.

كنت أصرخ: .. لا ... لا.

كان فناء المدرسة مملوءًا بالطلبة، والمدير يصرخ بهم"[49].

ومثلُ هذا الخوف مرتبط بالشعور، فسعيد واعٍ للموقف ومدرك نتائجه جيدًا؛ لذلك تولّد في نفسه هذا الشعور بالخوف.

ووقف الراوي على خوف شخصيات الرواية من الغيبيات، ومثّل لذلك بخوف سعيد من المقبرة، **"كانت المقبرة الخوف الأكبر.. لذلك كنت أحاول جاهدًا ألا يكون طريقي يمرّ بالقرب منها في المساء ولو كان ير افقني كل أهل الحي... عقدة الخوف هذه ولّدت إحساسًا خاصًا بالضعف المتناهي تجاه الأشياء الغيبية"**[50].

وكما يظهر فإنّ الراوي عبّر عن خوف سعيد من الغيبيات تعبيرًا مباشرًا، وهو بذلك يعتمد على "طريقة من طرق التعبير عن الخوف أشار إليها علم النفس"[51]. وهي طريقة ترتبط بثقافة المجتمع وطبيعة تفكيره، وهذا انعكاس مباشر لناحية واقعية يريد الراوي توظيفها في روايته.

ومن مظاهر الخوف التي ظهرت في الرواية خوفُ سعيد من الفحم، وهو بذلك يمثل انعكاسًا لحادثة أليمة مرّت عليه وعلى أهل الحي جميعًا، **"كنت متخوفًا تمامًا من الفحم.. فتحت باب الغرفة والنافذة وأشعلت الفحم في موقد حديدي وضعته في وسط الغرفة... تسربت رائحته لأنفي.."**[52].

يعكس الراوي على لسان شخصية سعيد الخوف من الفحم، وهو خوف انفعالي مرتبط بمنطقة اللاشعور، كونه يرتبط بحادثة احتراق (سكون) بالفحم عندما كانت تجهز نفسها للرقص في حفلة إحدى عرائس الحي، ومن المؤكّد أنّه ارتباط ذو دلالات عميقة في نفوس هذه الشخصيات؛ لأنّ موتها مثّل صدمة لهم جميعًا، "والإنسان يمرّ بعوامل مختلفة تؤدي إلى انفعال الخوف"[53].

وإلى جانب مظاهر الخوف هذه فقد ظهرت مظاهر أخرى كالخوف من الزوجة والخوف من الذات، ولكنّ المظهر الذي شكل ظاهرة في هذه الرواية هو الخوف من العيب أمام المجتمع، إذ إنّ الراوي كان حريصًا على توظيف هذا النوع بشكل واضح وفي مواضع مختلفة من الرواية، واللافت في هذا النوع أنّه مثل شعورًا عند أكثر شخصيات الرواية، وأوّل ما يطالعنا هذا الخوف عندما نسبه الراوي إلى والد دنيا وسعيد.

"لا تغضبي يا دنيا... وما العيب في أن تكوني ابنة شوق وأن تكون خالتك سكون... ما العيب في أن تموت أمك و أنت طفلة، ويهرب منك والدك خوفًا من ذكرى أليمة مرّبها..."[54].

الإشارة واضحة إلى خوف الوالد من سلطة المجتمع، إنه خوف من أن يشار إليه بارتكاب ما يوجب العيب في نظر المجتمع الذي يعيش فيه؛ لذلك قرر التخلي عن أبنائه الذين يربطونه بشوق وأختها سكون.

ونجد أنّ هذا الخوف قد انعكس على شخصية شقيق والد سعيد، -أي عمّه- وهو شخصية كانت ترغب في الزواج من سكون، ولكنّه يخاف من العيب.

"- أتعلم بأنّ خالتك سكون عُثرعليها ميتة في منزلها؟!

- **علمت ذلك وهذا الذي جعلني آتي إلى هنا.**
- **لقد أفاد الطبيب الشرعي بأنّها كانت حاملاً عندما وجدت ميتة.**
- **ولكن هي لم تتزوج... لا أصدّق هذا...**
- **التقريرلدي... لم أشأ أن يطلّع عليه أحد غيرك خوفًا من العار"**[55].

يصرّح الراوي بالخوف من العار (العيب) أمام المجتمع، وهو خوف مرتبط بسمعة (سكون) خالة سعيد، ويظهر خوف العمّ مرة ثانية في سياق آخر:

"ومَن تلك المرأة التي تُغني؟

- **زوجتي.. زوجتي عفيفة.**
- **(ألا زلت مصرًا على جلب العيب لعائلتنا)؟"**[56].

ظهر خوف عم سعيد من العيب مرة ثانية، ولكنّ مصدر هذا الخوف مختلف هذه المرة، مصدره الفتاة الجديدة (عفيفة) التي تزوجها سعيد، فالعمّ يرى أنّ هذه الفتاة ستسبب لهم عيبًا في المجتمع كونها مغنية وراقصة.

ولا يكتفي الراوي بربط الخوف من العيب بأقارب سعيد وحسب، فنجد أنّ شخصيات أخرى عكسته في مشاعرها.

"حدجتني إحدى النساء بنظرة رثاء عندما كانت تشتري بعض الأواني المنزلية... سألتها: أتعرفين سكون؟

- مستورة.. ادعُ لها بالرحمة.

- رأيتها تُغني ... ترقص؟

- كثيرًا.

- ما علاقتك بها؟

- جارة.

- خافت أن يكون هنالك بعض الأعين المتلصصة والآذان المتصنتة"[57].

لقد برع الرّاوي في رسم مشهد الخوف على هذه المرأة التي تمثل فردًا من أفراد المجتمع، وهي شخصية تخاف من العيب، إذ إنّ ذكر اسم سكون يعد عيبًا في نظرها.

ولو أردنا تحليل مصدر هذا الخوف لوجدنا أنّه مرتبط بشيء خارج هذه الشخصية، فهي تدرك في ذاتها أمرًا يفسر هذا النوع من الخوف أو الشعور به، إنّه ذكر اسم سكون، "فالشعور هو دائمًا شعور بشيء ... مرتبط بأشياء خارجية، هي موضوعات ذلك الإدراك"[58].

وسعى الرّاوي إلى نقل رؤيته لواقع يشعر به بصفته مبدعًا إلى طرف آخر (المتلقّي)، فكان حريصًا على نقل الخوف من العيب من دائرة الفرد إلى دائرة المجتمع.

"... ولكن أنت تُعيد ذكرى أليمة يحاول أن ينساها البعض.

- سأسميها سكون وليكن ما يكون.

- **إذن لا مكان لك في هذا الحي.**
- **وهل أصبح ملككم؟**
- **لا. ولكن لا نريد أن يتفشى العيب في حيِّنا.**
- **عالم مجنون... تلك المرأة لم تسئ إلى أحد... لم ترضخ لنزوة أحدكم... ماذا تريدون منها حتى بعد موتها؟"**[59].

يظهر الحوار أنّ إحياء اسم سكون بعد موتها مرفوض في المجتمع، وهنا نجد تأثير البيئة واضحًا على شخصية المبدع، فانعكس هذا التأثير على روايته، "فالشخصية تتكون من حالات متغيرة للكائن الحي ككل خلال تفاعله، مزودًا بخبرته التفاعلية مع بيئته بطريقة فريدة"[60].

إنّ الأمر الذي يجب الانتباه إليه أنّ كاتب الرواية عكس نظرة المجتمع تجاه ما يعرف بالعيب الاجتماعي، مع ضرورة الانتباه إلى أنّ الكاتب نشأ في مجتمع محافظ، ما يؤكّد أنّه يؤيد الخوف من العيب الذي ظهر عند شخصيات الرواية، وهو خوف مرتبط بوجود مغنية في البيئة التي تعيش فيها هذه الشخصيات، وهي بيئة افتراضية رسمها الصقعبي ليؤكّد صحة رؤيته التي تعكس رؤية مجتمعه.

ونجد في سياق الرواية أنّ (سكون) نفسها باتت مدركة هذا النوع من الخوف، ففي حوار بينها وبين عم سعيد بعد أن طلب منها الزواج تفصح عن هذا الخوف، وهو انعكاس لحالة شعورية للمجتمع الذي تعيش فيه هذه الشخصية.

"ما أجمل أحلامك... ولكن أخاف.

- **ممن؟**
- **منك.. أقصد أخاف عليك... ألا تخشى العيب؟"**[61].

لقد وضع الصقعبي المتلقي أمام ثقافة مجتمع يرفض وجود امرأة مغنية أو راقصة، فالفعل الذي تؤديه هذه الشخصية غير مقبول ومرفوض في كثير من المجتمعات المحافظة، "وعلم النفس

الثقافي لا يعير اهتمامه للتصرف بل للفعل الذي هو تصرف يمليه قصد أو حالات واعية قابلة للاستدعاء أو للحضور في التعبير، وهذا الفعل يسمى الفعل الموضع؛ لأنّه يتحقق ويرتبط بوسط اجتماعي وثقافي خاص"[62].

ولم يكتف الصقعبي بجعل الخوف من العيب شعورًا عند المجتمع الذي يرفض شخصية المغنية سكون، بل عكس هذا الخوف على شخصية سعيد، الذي فكر بالزواج من المغنية عفيفة.

"- تدعى عفيفة... لمحتها من بعيد.. أذهلني جمالها... لولا خوفي من العيب لتزوجتها.

- ألم تتزوج بعد؟

- لا أظن أنّ مثلها يتزوج"[63].

في هذا الحوار يتجلى خوف سعيد من العيب، فهو معجب بعفيفة، ولكنه متردد خشية أن يلحقه العيب بسبب هذا الزواج، لكونها مغنية فقط، ويظهر هذا الخوف عندما يشير إلى أنّ مثيلاتها لا يتزوجن، قاصدًا بذلك زواجهنّ من أبناء المجتمعات المحافظة.

وهكذا نلحظ أنّ الخوف الذي ساد أكثر من غيره في الرواية هو الخوف من العيب، وهو مرتبط بثقافة المجتمع التي يعبّر عنها الراوي، إذ انبثق هذا النوع من الخوف من نقطة اللاشعور للراوي.

ثانيًا: الحزن

قال ابن منظور: "الحُزْن والحَزَن: نقيض الفرح، وهو خلاف السرور"[64]، وفي علم النّفس يعرّف بأنّه: "ردّ فعل إنساني ينتاب الناس في مختلف المجتمعات عندما يأتي بسبب فاجعة أو موقف مؤلم..."[65].

ويكشف تتبع أحداث رواية رائحة الفحم أنّ الشعور بالحزن ملمح ظاهر في كثير من أحداثها، وهو نتيجة طبيعية للمواقف التي مرّت بها شخصيات الرواية، وقد بدا الحزن ظاهرًا في مواقف متعدّدة، فها هي هدى تظهر حزينة على أخيها أحمد.

"أحيانًا تبكي عندما تتذكر أخاها الذي كان يلعب معي، والذي تحوّل إلى كومة لحم تحت شاحنة..."[66].

وفي مشهد آخر:

"- إنّ كلّ ركن في هذا البيت يذكّرها بأحمد.

- **كنت ألعب معه ذلك اليوم.. كانت هدى هنا .. وكنت خارج المنزل عندما أستأذَنّا لنلعب بالخارج.**
- **ألم ينتبه للشاحنة؟!**
- **كانت مسرعة... دخلت المنزل باكيًا... قابلتني مفجوعة تصرخ .. أحمد .. أحمد.."**[67].

يُظهر هذا الموقف كيف حزنت هدى على أخيها أحمد الذي دهسته شاحنة مارة بالشارع، فكان الحزن نتيجةً طبيعية تولّدت بسبب فاجعة الموت التي حلت بأخيها، وقد صوّر الرّاوي ذلك بعبارات مباشرة تؤكّد صدق تفاعله مع هذا الموقف.

وركّز الرّاوي على إظهار شخصية سعيد وهي تعاني من الحزن نتيجة الأحداث والمواقف التي مرّت به، حتى صوّر نفسه رمزًا لمأساة أسطورية، **"عندها أجد أنّني مجرد بطل أسطوري يصلح لمأساة مسرحية..."**[68]. **"إيه يا قلبي لا تحزن... يا لهذا القلب كيف يحبُ وكيف يكره..."**[69].

بات سعيد مدركًا حالة الحزن التي يمرّ بها، ويظهر إبداع الرّاوي حينما استخدم أسلوب التشخيص فجعل سعيدًا يخاطب قلبه طالبًا منه الكف عن الحزن، وهذه حالة تكشف شدة معاناته وألمه مما يدور في نفسه من مواقف وأحداث سببت له الضيق والحزن.

وربط الرّاوي الحزن بمواقف نفسية مختلفة دفعت الشخصيات نحوها وجعلتها متأثرة بها، وهذا نشاط لاإرادي تمرّ به الشخصيات، ويقصد به: "السلوك أو تلك الاستجابات التي تترتب على نشاط الجهاز العصبي المستقل والغدد الصماء"[70].

ولو نظرنا في الصورة النفسية الآتية لوجدنا أنّ استجابة الذات للشعور بالحزن استجابة طبيعية: "...**ثمة طريق مؤد إلى شمس مشرقة... مدينة سرابية تقف في وجه الشمس... رائحة الفحم... الدوار... الشمس تغرق خلف الحائط... الحائط يطلى بالسواد ... الباب موصد ... النوافذ موصدة... البرد مهيمن في الخارج... رائحة الفحم تنبعث بين مسام الباب... الأزقة ضيقة...**"[71].

استسلمت شخصية سعيد لمواقف متعددة دفعتها للشعور بالحزن، بدأها الرّاوي من العام وانتقل إلى الخاص، المدينة السرابية التي يحلم بها سعيد تمثل فشلاً له، ثم رائحة الفحم الذي كان سببا في وفاة خالته سكون.

إن هذه الحالة -حالة الحزن- دفعت الرّاوي إلى رسم صورٍ خاصة تعبّر عن شدّة هذا الحزن وأثره على الشخصية، فالشمس محتجبة خلف حائط والحائط ذو لون أسود والباب مغلق والنوافذ موصدة... إنّها صور مفردة تتواشج مع بعضها مركّبة صورة كليّة متماسكة ذات دلالات عميقة تعبّر عن الحالة الحزينة التي تمرّ بها شخصية سعيد.

ومن المؤكّد أنّ ربط هذه الصور بعضها ببعض يعطي العمل الإبداعي جمالاً فنيًا، وكما قال أيزر: "ترابطُ الجملِ بشتى الطرقِ يشكّل وحداتٍ دلاليّةٍ من مستوًى عالٍ"[72].

وكما تمت الإشارة سابقًا فإنّ الحزن ظهر بوصفه حالة دائمة في شخصية سعيد دون أن يقترن بموقف ما، سوى موقف حزنه على فراق أمه وبُعده عن أبيه، "**حزن هو هذا الحصار الأبدي لطفل فقد حنان الأمومة ونسي أنّ له أبًا**"[73].

وهذا الموقف لا يختلف فيه المتلقي مع المبدع، فكيان الإنسان ووجوده يبدآن في أسرته الصغيرة مع أبيه وأمّه، فعندما يفقد المرء هذين الركنين من حياته فمصيره الضياع، وهذا ما جعل المبدع يصوّر لنا شخصية سعيد المحزونة في مختلف أحداث الرواية، وكأنّ المبدع في هذا السياق

يستحثّ المتلقّي على التفاعل مع الحالة النفسية الحزينة لشخصيات الرواية والتشارك معها، "وسواء أكانَ المشارك هنا المؤلفَ أم المتلقّي، فإنّه ينهمكُ في عملية حواريةٍ نفسيّة، تتمُ بعيدًا عن النّشاط الاجتماعي بل في مواجهته"[74].

وقد ظهر حزن سكون على زوجها باعتباره مظهرا من مظاهر الحزن في الرواية، **"... مات.. مات أهو الموت الذي يحول دون الفرح؟**

- عندما لا يعرف وجهك الحزن تكونين أكثر إغراء أكثر جمالا بالسواد.. هل الموت خيانة؟

- تركني وحيدة ... أتجرع مرارة الحزن والفراق... أتعذب ... كفاني بكاء"[75].

وبسبب فاجعة الموت ظهرت شخصية (عم سعيد) حزينة على سكون، **"سكون يا زينة نساء الحي... لماذا تتجاهلين طلبي... كنت صادقًا عندما رغبت في الزواج منك... أهذه نهاية الرحلة التي تريدينها"**[76].

وهكذا، فإنّ الحزن تولّد في نفسية شخصيات الرواية نتيجة مواقف أهمها الموت والبعد عن الأحبة، وهذه نتيجة طبيعية كونها تمثل استجابة لموقف يبعث في نفس الشخصيات الحزن والألم، وشكّلت هذه العاطفة ظاهرةً عند كثير من شخصيات الرواية.

ثالثًا: ألم الفراق

وردت كلمة الألم في اللغة بمعنى: "الوجع"[77]، أمّا الفراق: "فهو عكس الاجتماع"[78]. وبالربط بين هذين المعنيين يتبيّن أنّ التفرق يولّد ألما في النفس، وهذا الربط يتوافق مع تعريف الألم النفسي الذي يصفه علم النّفس بأنّه: "يكتسب معنى خاصًا بالنسبة لكل إنسان، معنى يتشكل من خلال الموقف المؤثر، من خلال الشخصية وتاريخها"[79].

وبالبحث في رواية رائحة الفحم تتجلى لنا مواقف متعددة تُظهر ألما نفسيًا عانته بعض الشخصيات نتيجة الفراق، من ذلك ما ظهر على شخصية سعيد عند فراق الممرضة ليلي.

"- أنا و اثق من نفسي.. كانت معك تلك الليلة... كانت تحاول أن تخفف وطأة الألم.

- أوه.. تذكرتها...ولكنّها رحلت..

- رحلت.

يا لهذا البرود... هكذا رحلت.."[80].

وتظهر ردّة فعل سعيد ومفاجأته بعد أن عَلِم برحيل ليلى، فسبب له ذلك ألما في قرارة نفسه، فهو قد أُعجب بهذه الممرضة (ليلى)، وأحبها، فكان فراقها سببًا للشعور بالوجع والتألم النفسي، وهو فراق مادي ومعنوي، وحينما يجتمع الفراق النفسي والمعنوي معًا فإنّ هذا يعد من أصعب أنواع الفراق على المرء.

وفي موضع آخر:

"بعيدة هي كنجمة ... الخوف يحاصرني... لا أعي تمامًا المسافة بين الوهم والو اقع... رأيتها ذات مساء... كنت شبحا أحلق في سماوات الألم... هل رأت كيف كنت مستسلما لحقنة التخدير.."[81].

وإذا كان الصقعبي يريد من المتلقي التفاعل مع سعيد في مثل هذا الموقف فلأنّه واع بحال سعيد ومدرك مشاعره، سواء أكانت شخصية سعيد محاكاة لشخصية واقعية أم شخصية غير واقعية، وقد وصف هويسمان الشعور الفنّي بقوله: "الشعور الفنّي مألوف لدى الخالق أكثر منه لدى المتلقي"[82].

واللافت أنّ الفراق الذي ركّز عليه الرّاوي في الرواية فراقُ الرجل للمرأة في أكثر المواضع، وعانى سعيد من فراق آخر من هذا النوع، فنراه متألمًا لفراق ابنة عمه هدى.

"غادرت حيّنا الصغير ذات صيف.. وعندما عدت قالوا إنّها رحلت بعد أن وجدت نصفها الآخر..

أحقًا رحلت.. رحلت.. أخاف من الرحيل.. كنت سأرحل إلى عالم آخر وتبقين أنت بلا نصف ولكن ها أنت رحلت... أتعودين يا نصفي الرائع؟"[83].

يتضح من حوار سعيد مع نفسه شدة ألمه على فراق هدى، إذ يكشف عن أمل كان يرجوه في داخله، إذ كان يؤمل الزواج منها، لكنها تزوجت شخصًا آخر، ولعل هذا ما سبب له الألم، فالفراق المادي اقترن بفراق معنوي، إذ بات من غير الممكن أن يقترن بهدى بعد أن تزوجت، وقد مثل هذا الشعور مظهرًا واضحًا في شخصية سعيد في هذا الموقف؛ حتى عبّر عن الخوف من الفراق تعبيرًا مباشرًا.

والتركيز على فراق الرجل والمرأة يكشف حاجة الرّاوي لتأكيد ألمه من مثل هذا النوع من الفراق، وهذا الأمر يرتبط بصورة مباشر بمنطقة اللاشعور للأديب، وهي منطقة أعمق من منطقة الشعور، "واللاشعور هو الأساسُ العامُّ للحياةِ النّفسيةِ. فاللاشعورُ هو المجال الأكبرُ الذي يضمُّ بين جوانبه المجال الشّعوريَّ الأصغرَ"[84].

وبعيدًا عن فراق الحبيب حبيبته فإنّ الرواية تكشف أنّ وفاة أم سعيد سببت له ألما، كذلك فراقه أخته عندما تزوجت.

"وأختك.

- **وجدت نصفها الآخر ورحلت معه بعيدًا.**
- **أعلم كل هذا"**[85].

يتبيّن ممّا سبق أنّ الرّاوي ركّز على نوع خاص من الفراق وهو فراق قائم على ثنائية الرجل والمرأة، ويفسّر ذلك بما للمرأة من أثر على نفسية الرجل، سواء أكانت أمًا أم أختًا أم محبوبة، فهي مصدر العطف والحنان والاستقرار.

رابعًا: الاكتئاب

وردت الكآبة في لسان العرب بمعنى: "سوء الحال، والانكسار من الحزن، وتغير النفس بالانكسار من شدة الهمّ والحزن"[86]، وعرّف علم النفس الاكتئاب بأنّه: "حالة من الحزن الشديد المستمر تنتج عن الظروف المحزنة الأليمية، وتعبر عن شيء مفقود، وإن كان المريض لا يعي المصدر الحقيقي لحزنه"[87].

ويكشف مفهوم الاكتئاب أنّه حالة شعورية أشدّ وقعًا على النّفس من الحزن، أي إنّها قد تكون تطورًا للحزن الشديد الذي يعاني منه الشخص، وفي رواية رائحة الفحم ظهر الشعور بالاكتئاب لدى شخصية البطل (سعيد)، وهو شعور ممتد لحالة الحزن التي عاني منها؛ نتيجة الظروف التي مرّت عليه، حتى أصبح الآخرون يلاحظون ذلك في تصرفاته وطباعه.

"- عفوًا تبدو أكثر اكتئابًا هذا اليوم.

- أتذكر تلك الأغنية التي سمعناها سويًا مساء أمس.

- أي أغنية؟"[88].

وبلغ الاكتئاب في ذات شخصية سعيد حدًا كبيرًا جعله يُسقطه على ما يحيط به، حتى بدأ يشعر أنّ ما حوله يوحي بالاكتئاب، **"سأغادر هذه الغرفة الكئيبة... سأترك مجموعة الكتب تلك لكم لتقرأوها... تذكروا أن عينيَّ مرّتا على كل سطر فيها..."[89]**، يؤكّد وصف الغرفة بالكآبة عمق أثر الظروف الخارجية في نفس سعيد، وهي ظروف أدت إلى هذا الشعور السلبي وانعكست على تصرفاته، وقد حدّد علماء النفس أسبابا مختلفة للاكتئاب منها "الأسباب الخارجية، ويقصد بها ضغوط الحياة والعوامل النفسية، وهي أحداث ضاغطة تسبق أول نوبة لاضطراب الوجدان، ويرى بعض الدارسين أنّ هذه الظروف تلعب دورًا رئيسيًا في هذا الشعور"[90].

وصرّح سعيد بأنّ حالته هذه جاءت نتيجة ظروف ماضية يتذكرها بين حين وآخر، **"أعجبني هذا البيت الطيني.. كآبته أعجبتني.. انزواؤه... كونه ذكرى لأشياء لا أعيها ولا أنتمي إليها جعلتني أزداد إعجابًا به... يحتضنني صمته... يعرفني الجميع بالغريب"[91]**.

ونلحظ فيما سبق أنّ الرّاوي أظهر الاكتئاب عند سعيد بطريقة مباشرة من خلال ذكر ما يدل عليه، وعمد في حالات أخرى إلى الإشارة إليه بطريقة غير مباشرة، ومن ذلك إشارته إلى أتعاب الغربة وآلامها واستمرار الحزن الذي يشعر به دائمًا. **"هذا القادم الحامل في جسده كلّ تفاصيل الأرق والغربة والحزن سيحفر في ذاكرتكم أوجاعه... سيتحدّث كثيرًا ويغنّي"**[92].

إنّ الاكتئاب الذي تعاني منه شخصية سعيد هو (اكتئاب عصابي)؛ كونه جاء استجابة لمواقف خارجية مرّت عليه، "وهذا النوع يسمى في علم النفس اكتئابًا استجابيًا؛ لأنّه يتولّد نتيجة لبعض الأزمات الخارجية كفقدان قريب أو صديق أو نتيجة أداء عمل أو مهنة أو علاقة اجتماعية وثيقة للشخصية المكتئبة"[93]، وبتتبع أحداث الرواية لا يخفى على المتلقّي حدّة الظروف التي عانت منها شخصية سعيد، بدءًا بوفاة أمّه، وانتهاءً بترك أبيه إياه، وفصله من المدرسة، ثم اغترابه عن حيّه، وتعلّقه ببعض الفتيات وعدم اقترانه بهنّ، إلى وفاة خالته سكون... .

خامسًا: السوداوية

تعود كلمة السوداوية في اللغة إلى الجذر (سود)، ومنه السواد، "وهو نقيض البياض"[94]، وتطلق في علم النّفس على: "كلّ شخص يعاني حالة من المرض النفسي المزمن، ميزتها الحزن، والغم الدائم، مما يجعلها مناقضة لحالة الانتشاء غير الطبيعي"[95].

ويرى بعض الدارسين أنّ السوداوية نوع من الاكتئاب، ولكنّ هذه الدراسة وقفت على الشعور بالسوداوية وارتأت أنّه مصطلح مستقل عن الاكتئاب؛ لتحديد بعض المواقف التي أظهرت شخصيات رواية رائحة الفحم متشائمة.

"بقي السؤال بدون إجابة.. سألت أختي ذات يوم:

- هل كنت شؤمًا على أبي؟!

- لماذا؟!

- لأنّني أتيت ورحلت أمي.

- ولكن أبي تزوج"[96].

يتَضح أنّ سعيدًا يرى وجوده في هذه الحياة سببًا لوفاة أمّه، وهذا شعور سلبي مردّه الحزن الدائم والغمّ الذي يعانيه في هذه الحياة، حتى بات يرى الأمور المشرقة على عكس صورتها، ومن ذلك أنّ لون البياض ينقله إلى التفكير بالموت.

"(كل هذا البياض يذكرني بالكفن).

لا أدري لماذا بقيت هذه الكلمات تحاصرني.."[97].

إنّ الشعور بانتهاء الحياة والاقتراب من الموت عرضٌ من أعراض السوداوية، ومثل هذه الأعراض لا تأتي إلا بفعل قوّة صادمة أثّرت على نفسية الشخصية. ووصف علماء النفس هذه الحالة بأنّها نوع من أنواع العصاب، معتمدين في ذلك على تصنيف فرويد للآليات الثلاث "انقلاب المشاعر الوجدانية، ونقلها (الوساوس)، وتحولها: (العصاب، والقلق، والسوداوية)"[98].

وهذا ما نجده في نظرة سعيد لموجودات الحياة، فكل ما يراه مؤلمٌ، **"هذه النافذة تصرّ على توديع الشمس وداعًا مؤلمًا لاستقبال ليل طويل"**[99]، إذ يرى سعيد أنّه لا أمل له في هذه الحياة، حتى أنّ غياب النّهار سيطول، ليعيش ساعات الليل التي تُشعره بالأرق والحزن المستمرين.

واقتصر الشعور بالسوداوية على شخصية سعيد، كونها الشخصية الرئيسية التي ترتبط بباقي شخصيات الرواية من ناحية ولأنّها الشخصية التي تأثرت بأحداث الرواية الحزينة أكثر من غيرها، وهذا ما جعل الشعور بالتشاؤم مظهرًا بارزًا عنده.

سادسًا: الانتقام

ورد في لسان العرب: "نَقَمْت الأمر ونَقِمْتُه إذا كرهته، وانتقم الله منه أي عاقبه، وانتقمت إذا كافأته عقوبة بما صنع"[100]، ويعرّف في علم النّفس بأنّه: "مجموعة من السلوكيات التي تهدف إلى إيذاء شخص أو مجموعة من يُنظر إليه على أنه مذنب أو مسؤول عن الأذى الذي يلحق بالآخرين"[101]. ويتّضح من المعنيين اللغوي والاصطلاحي أنّ الانتقام يقوم على عقوبة من تسبب بإيذاء الآخرين.

وبتتبع رواية رائحة الفحم يظهر سلوك الانتقام بشكل لافت في شخصية عم سعيد، وهي الشخصية الوحيدة التي عبّرت عن حرصها على الانتقام في هذه الرواية. **"لن تذوقي طعم الاستقرار في حياتك يا سكون"**[102]. يمثّل الوعيد في هذا السياق السّلوك الانتقامي لدى الشخصية، وهو وعيد يضمر عداءً نحو شخصية أخرى يصرّ على تنفيذه في المستقبل.

ولم تخفِ شخصية عم سعيد حرصها على الانتقام من سكون، إذ نجده يصرّح بذلك ويعلنه أمام الآخرين.

"- وماذا تريد من سكون.

- **كنت أرغب فيها... مجرد نزوة..**
- **أتنسى العيب؟**
- **هذه الليلة سيكون لي شأنٌ معها"**[103].

أمّا السبب الذي دفع عم سعيد للرغبة في الانتقام من (سكون) فهو رفضها الزواج منه، ما أدى إلى اضطراب داخلي في ذاته فتولّد في نفسه تجاهها هذا السلوك العدواني.

"- أين هي؟

- **ماذا تريد منها؟**
- **سيكون لي شأن معها هذه الليلة.**
- **ألا زلت تكرهها؟**
- **أصبحتُ هزءًا أمام جميع نسائي بسببها.**
- **ألأنّها رفضتك؟"**[104].

واجتهد الرّاوي في أنْ يشدّ المتلقي نحو التهديدات المستمرة على لسان عمّ سعيد، وهذا يجعل المتلقّي يتفاعل مع الموقف ويبحث عن وظيفةِ هذه الشخصية في التخطيط للإساءة لسكون بعد أن

احترقت بالفحم، وهنا تظهر براعة الصقعبي في شدّ انتباه المتلقي لأحداث الرواية، "وإذا كانَ الأدبُ تواصلاً فهو نشاطٌ فكريٌ متصلٌ بنظريّةٍ أكثرَ شمولاً وهي نظرية الاتصال"[105]. وتجلى هذا الموقف عندما كشف العمّ وجود تقرير من الطبيب الشرعي يفيد أن (سكون) كانت حاملاً.

"- أتعلم بأنّ خالتك سكون عثر عليها ميتة في منزلها؟!

- **علمت ذلك وهذا الذي جعلني آتي إلى هنا.**
- **لقد أفاد الطبيب الشرعي بأنّها كانت حاملاً عندما وجدت ميتة.**
- **ولكن هي لم تتزوج... لا أصدق هذا...**
- **التقرير لديّ... لم أشأ أن يطلع عليه أحد غيرك خوفًا من العار"[106].**

وحول إثارة مسألة حمل (سكون) دون أن تكون متزوجةً نجد أنّ الصقعبي أثار المتلقي ليتساءل: هل وصف سكون بأنّها كانت حاملاً جاء نتيجة لدوافع الانتقام عند شخصية عم سعيد؟ أم إنّه أمر واقعٌ أراد إيصاله إلى ابن أختها، كي يتعرّف حقيقة خالته؟

وعلى كلّ حال فإنّ المهم من الوقوف على سلوك الانتقام في هذه الرواية هو التأكيد على أنّه سلوك فردي ظهر في تصرفات شخصية واحدة، دون أن يتجاوزها إلى الشخصيات الأخرى في الرواية، ما يؤكّد عدم تعميم هذه الصفة السلبية بصفتها ظاهرةً في البيئة التي يريد الصقعبي رسمها في روايته سواء أكانت بيئة واقعية أم متخيلة.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الأبعاد السابقة أبعاد نفسية ظهرت في شخصيات رواية رائحة الفحم، ولكن ليست هي الأبعاد جميعها فثمة أبعاد أخرى ظهرت في الرواية كالتهويل، والكره، وغيرها.

والذي لا بدّ من ذكره أنّ الرّاوي عمل على ذكر أغلب الأبعاد النفسية لشخصيات الرواية، وذلك عندما مرت بسعيد حالة وعي إدراكي لكثير من المواقف التي مرّت عليه في حياته، **"فتحت عيني، جرح مكان الألم السابق، الوجوه تغيرت، كانت الأرض زرقاء... أحاول أن أسترجع ملامحها، تبقى الابتسامة بيضاء، وهج أبيض يشع، لا أرى، لا أعي"[107].**

الخاتمة:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، التي يمكن إجمالها بما هو آت:

- تشتمل رواية رائحة الفحم لعبد العزيز الصقعبي على عدد كبير من المشاعر والانفعالات والسلوكيات النفسية، ما يؤكّد أنّ شخصياتها تتميز بالتنوع والتعدد الواضحين، وهو تنوع يرتبط بأحداث الرواية ويُسهم في ترتيب الوقائع بما يضمن بناء الرواية بناء متكاملاً.
- مثّلت شخصية سعيد محورًا أساسيًا اعتمد عليه الرّاوي فأكسبه أبعادًا نفسية متعددة، كالخوف، والحزن، والحبّ، والفضول، والاكتئاب والسوداوية.
- أثّرت بعض الأبعاد النفسية على الشخصيات فتولدت منها أبعاد أخرى جديدة، فألم الفراق أدى إلى الحزن، والحزن أدى إلى الاكتئاب، وجاءت السوداوية نتيجة للاكتئاب.
- ظهرت بعض الأبعاد النفسية في الرواية عند شخصية واحدة، كالانتقام الذي ظهر بعدًا بارزًا في شخصية عم سعيد، والاكتئاب والسوداوية اللذين ظهرا لدى شخصية سعيد.
- لجأ الرّاوي في كثير من المواقف إلى التعبير عن الأبعاد النفسيّة لشخصيات الرواية تعبيرًا مباشرًا، كالفضول، والخوف، والوحدة، والحبّ.

وتوصي الدّراسة ببعض التوصيات، لعل أهمها:

- حثّ المهتمين والمتخصصين على عقد دراسات بينية متخصصة بين حقلي النقد الأدبي وعلم النفس.
- دراسة الأعمال الروائية الحديثة للروائيين السعوديين، وفق المناهج النقدية المختلفة.
- العناية بالروايات الحديثة وكتّابها على حدّ سواء -لا سيّما- تلك التي تفتقر إلى البحث والدرس النقديين، وعدم الاقتصار على الأسماء المألوفة من الروائيين والروايات.

الهوامش والإحالات:

(1) ينظر: المشوح، البناء الفنّي للقصّة القصيرة: 7-12.

(2) مقدادي، تلقي شعر التراث: 90.

(3) فرويد، محاضرات تمهيديّة في التّحليل ا لنّفسي: 430.

(4) إسماعيل، الأدب وفنونه: 82، 83.

(5) بحراوي، بنيئة الشكل الروائي: 300.

(6) ينظر: كلر، البنيوية وبناء الشخصية في الرواية: 73.

(7) رحيّل، البناء الفني للشخصية المحورية: 43.

(8) ينظر، الزبيدي، تاج العروس: مادة (فضل).

(9) ينظر، مانغويل، الفضول: 25.

(10) الصقعبي، رائحة الفحم: 40.

(11) نفسه: 7.

(12) نفسه: 39.

(13) العمر، الفضول العلمي والفضول الاجتماعي: 82.

(14) الصقعبي، رائحة الفحم: 25.

(15) نفسه: 11.

(16) ينظر: كارول، قوة الثقة بالنفس: 6.

(17) الصقعبي، رائحة الفحم: 26.

(18) نفسه: 21.

(19) الزغول، علم النفس المعرفي: 112.

(20) الصقعبي، رائحة الفحم: 81.

(21) الشّناوي، نظريّات الإرشاد والعلاج النّفسي: 278.

(22) الصقعبي، رائحة الفحم: 88.

(23) نفسه: 39.

(24) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: مادة (رغب).

(25) ينظر: حنا، الرغبة والفلسفة: 21.

(26) الصقعبي، رائحة الفحم: 31.

(27) نفسه: 32.

(28) نفسه: 35.

(29) نفسه: 34.

(30) نفسه: 85، 86.

(31) ينظر، أنيس، المعجم الوسيط، مادة: (حبب).

(32) نظمي، الحب الرومانسي: 21.

(33) الصقعبي، رائحة الفحم: 85، 86.

(34) أبو الرّضا، الاتجاه النّفسيّ في نقد الشّعر العربي: 35.

(35) Benda, The Image of Love: 5.

(36) الصقعبي، رائحة الفحم: 77.

(37) نفسه: 10.

(38) Marx, Economic and Philosophic Manuscripts of 1844: 101.

(39) الصقعبي، رائحة الفحم: 18، 19.

(40) نفسه: 8.

(41) نفسه: 50.

(42) الجواري، الحبّ العذري: 4.

(43) الصقعبي، رائحة الفحم: 97، 98.

(44) ابن منظور، لسان العرب، مادة: (خوف).

(45) القوصي، أسس الصحة النفسية: 317.

(46) الصقعبي، رائحة الفحم: 7.

(47) أسعد، سيكولوجية الخوف: 175.

(48) الصقعبي، رائحة الفحم: 16.

(49) نفسه: 25.

(50) نفسه: 83، 84.

(51) أسعد، سيكولوجية الخوف: 255.

(52) الصقعبي، رائحة الفحم: 73.

(53) سليمان، مشكلة الخوف عند الأطفال: 103.

(54) نفسه: 29.

(55) نفسه: 62.

(56) نفسه: 91.

(57) نفسه: 67.

(58) زيدان، في النفس والجسد: 135.

(59) الصقعبي، رائحة الفحم: 45.

(60) باترسون، نظريات الإرشاد والعلاج النفسي: 103.

(61) الصقعبي، رائحة الفحم: 35.

(62) تروادك، علم النفس الثقافي: 28.

(63)الصقعبي، رائحة الفحم: 85، 86.

(64) ينظر، ابن منظور، لسان العرب: مادة (حزن).

(65) ينظر، الزبيدي، الحزن المرضي وعلاقته ببعض المتغيرات: 97.

(66) الصقعبي، رائحة الفحم: 10.

(67) نفسه: 19.

(68) نفسه: 30.

(69) نفسه: 7، 8.

(70) عبدالحميد، الأسس النفسية للإبداع الأدبي: 235.

(71) الصقعبي، رائحة الفحم: 40.

(72) أيزر، فعل القراءة: 58.

(73) الصقعبي، رائحة الفحم: 59.

(74) هولب، نظريّة التّلقي: 177.

(75) الصقعبي، رائحة الفحم: 28.

(76) نفسه: 42.

(77) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: (ألم).

(78) ينظر، نفسه: مادة (فرق).

(79) ينظر، صادق، الألم النفسي والعضوي: 20.

(80) الصقعبي، رائحة الفحم: 9.

(81) نفسه: 85، 86.

(82) هويسمان، علم الجمال: 130.

(83) الصقعبي، رائحة الفحم: 10.

(84) فرويد، تفسير الأحلام: 679.

(85) الصقعبي، رائحة الفحم: 13.

(86) ينظر: ابن منظور، لسان العرب: مادة (كأب).

(87) زهران، الصحة النفسية: 514.

(88) الصقعبي، رائحة الفحم: 17.

(89) نفسه: 60.

(90) ينظر: عُكاشة، الطب النفسي المعاصر: 413.

(91) الصقعبي، رائحة الفحم: 81، 82.

(92) نفسه: 87.

(93) ينظر: إبراهيم، الاكتئاب واضطراب العصر الحديث: 45.

(94) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: (سود).

(95) زرمان، السوداوية: 304.

(96) الصقعبي، رائحة الفحم: 87.

(97) نفسه: 87.

(98) ينظر: كليمان، التحليل النفسي: 80، 81.

(99)الصقعبي، رائحة الفحم: 79.

(100) ينظر، ابن منظور، لسان العرب، مادة: (نقم).

(101) الرغبة في الانتقام- ما هو حقًا وكيف نحار بها، متاح على الرابط الآتي: https://ar.warbletoncouncil.org/deseo-de-venganza-5206

(102) الصقعبي، رائحة الفحم: 28.

(103) نفسه: 31.

(104) نفسه: 40.

(105) ينظر: أحمامة، القارئ وسياقات النّص: 7.

(106) الصقعبي، رائحة الفحم: 40.

(107) نفسه: 22، 23.

قائمة المصادروالمراجع:

أولا: المراجع باللغة العربية

1) إبراهيم، عبدالستار، الاكتئاب واضطراب العصر الحديث - فهمه وأساليب علاجه، عالم المعرفة، الكويت، ط1، 1988م.

2) أحمامة، لحسن، القارئ وسياقات النّص، دار الثقافة، المغرب، 2005م.
3) أسعد، يوسف ميخائيل، سيكولوجية الخوف، نهضة مصر للطباعة والتوزيع، القاهرة، د.ت.
4) إسماعيل، عزّالدّين، الأدب وفنونه - دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1958م.
5) أنيس، إبراهيم، وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط2، 1972م.
6) أيزر، فولفغانغ، فعل القراءة نظرية جمالية التّجاوب في الأدب، ترجمة: حميد لحمداني، وجلال الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس، 2000م.
7) باترسون، س. هـ، نظريات الإرشاد والعلاج النفسي، ترجمة: حامد عبدالعزيز الفقي، دار القلم، الكويت، 1981م.
8) بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط2، 2009م.
9) تروادك، برتران، علم النفس الثقافي - هل النمو المعرفي متعلق بالثقافة؟، ترجمة: حكمت خوري، وجوزف بو رزق، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2009م.
10) الجواري، أحمد عبدالستار، الحبّ العذري - نشأته وتطوره، دار الكتاب العربي، مصر، د.ت.
11) حنا، محمد آيت، الرغبة والفلسفة مدخل إلى قراءة دولوز وغوتاري، دار توبقال للنشر، ط1، 2020م.
12) رحيّل، ديانا، البناء الفني للشخصية المحورية، صحيفة الرأي الأردنية، 2017م، تم الاسترجاع بتاريخ: 2021/09/28م، متاح على الرابط الآتي: http://alrai.com/article/10375248
13) أبو الرّضا، سعد، الاتجاه النّفسيّ في نقد الشّعر العربي - أصوله وقضاياه، مكتبة المعارف، الرّياض، 1981م.
14) الرغبة في الانتقام- ما هو حقًا وكيف نحاربها، تم الاسترجاع بتاريخ: 2021/09/30م، متاح على الرابط الآتي: https://ar.warbletoncouncil.org/deseo-de-venganza-5206
15) الزبيدي، محمد بن محمد الحسيني، تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت، 1965م.
16) الزبيدي، هيثم أحمد، الحزن المرضي وعلاقته ببعض المتغيرات - دراسة ميدانية لمدينة بغداد أنموذجًا، مجلة جامعة كركوك للدراسات الإنسانية، العراق، ع2، مج4، 2009م.
17) زرمان، حسان، السوداوية - المصطلح والمفهوم، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، الجزائر، ع47، 2017م.
18) الزغول، رافع، و الزغول، عماد، علم النفس المعرفي، دار الشروق، الأردن، د.ت.

19) زهران، حامد عبدالسلام، الصحة النفسية والعلاج النفسي، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط4، 2005م.

20) زيدان، محمود فهمي، في النفس والجسد - بحث في الفلسفة المعاصرة، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 2001م.

21) سليمان، سناء محمد، مشكلة الخوف عند الأطفال، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط2، 2005م.

22) الشّناوي، محمد محروس، نظريّات الإرشاد والعلاج النّفسي، دار غريب للطباعة والنّشر، الفجالة، 1974م.

23) صادق، عادل، الألم النفسي والعضوي، تم الاسترجاع بتاريخ: 2021/09/30م، متاح على الرابط الآتي:
https://www.ariib.com/book/download/9399/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%84%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B3%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B6%D9%88%D9%8A-%D8%B9%D8%A7%D8%AF%D9%84-%D8%B5%D8%A7%D8%AF%D9%82

24) الصقعبي، عبدالعزيز، رائحة الفحم، أثر للنشر والتوزيع، السعودية، ط2، 2012م.

25) عبدالحميد، شاكر، الأسس النفسية للإبداع الأدبي في القصة القصيرة خاصة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1992م.

26) عُكاشة، أحمد، الطب النفسي المعاصر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط2، 2003م.

27) العمر، عبدالعزيز، الفضول العلمي والفضول الاجتماعي، موقع العربية، تم الاسترجاع بتاريخ: 2021/09/30م، متاح على الرابط الآتي:
https://www.alarabiya.net/saudi-today/views/2020/09/21/%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B6%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D9%84%D9%85%D9%8A-%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B6%D9%88%D9%84-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A-

28) فرويد، سيجموند، تفسير الأحلام، ترجمة: عبدالمنعم الحفني، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1996م.

29) فرويد، سيجموند، محاضرات تمهيديّة في التّحليل ا لنّفسي، ترجمة: أحمد عزت راجح، مكتبة الأنجلو المصريّة، ط3، 1987م.

30) القوصي، عبدالعزيز، أسس الصحة النفسية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1982م.

31) كارول، أرنولد، قوة الثقة بالنفس، مكتبة الهلال للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.

32) كلر، جونثان، البنيوية وبناء الشخصية في الرواية، ترجمة: محمد درويش، مجلة الأقلام العراقية، العراق، ع6، 1986م.

33) كليمان، كاترين، التحليل النفسي، ترجمة: محمد سبيلا، وحسن أحجيج، مطبعة النجاح الجديدة، المغرب، ط2، 2014م.

34) مانغويل، أمبرتو، الفضول، ترجمة: إبراهيم قعدوني، دار الساقي، بيروت، ط1، 2017م.

35) المشوح، محمد بن صالح أحمد، البناء الفنّي للقصّة القصيرة عند عبدالعزيز الصقعبي، رسالة ماجستير، جامعة القصيم، السعودية، 2013م.

36) مقدادي، زياد محمود، تلقي شعر التراث في النقد العربي الحديث - من بشار إلى المتنبي أنموذجًا، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، ط1، 2012م.

37) ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، د.ت.

38) نظمي، فارس كمال، الحب الرومانسي بين الفلسفة وعلم النفس، دار ناراس للطباعة والنشر، العراق، ط1، 2007م.

39) هولب، روبرت، نظريّة التّلقي مقدمة نظريّة، ترجمة: عزّ الدين إسماعيل، المكتبة الأكاديميّة، القاهرة، 2000م.

40) هويسمان، دني، علم الجمال، ترجمة: ظافر الحسن، منشورات عويدات، بيروت، ط2، 1983م.

ثانيا: المراجع باللغة الأجنبية

41) Benda, C. E, The Image of Love, The free press of glencoc, Inc, New York, 1961.

42) Marx, Karl, Economic and Philosophic Manuscripts. Foreign Languages Publishing House, Moscow, 1844.